عوامل ازدهار الشعر

الشعر فن جميل من فنون الادب . ترتاح له النفوس وتبتهجُ وقد لقيَت صناعته عنايةً فائقة ورعاية بالغة منذ عصر ما قبل الاسلام. وبقيت تنمو وتزدهر الى ان وصلت إلى صورةٍ مُثلى متألقة تجذب الناظر وتبهره في العصر العباسي، وقد ساعدت عوامل كثيرة في هذا النمو والازدهار، ولعل من اهمها حب الخلفاء للشعر. وتقديرهم للشعراء، وتشجيعهم للنظم والانشاد، واغداق الاموال بسخاء على القادمين عليهم، والمتصلين بهم والمنشدين بين ايديهم. ويجب ان لا ننسى ان اغلب الخلفاء العباسيين كانوا مثقفين ثقافة عالية ولبعضهم مشاركات في نظم الشعر وتدبيج النثر.

إن عيون الشعر العربي أنشدت في مجالس الخلفاء والوزراء والولاة والقواد. وكانت العطايا تنهال على الشعراء المجيدين، والشواهد على ذلك كثيرة. فقد ذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلي أن الخليفة الهادي طلب منه أن ينشده شعراً يطربُ له، فأنشده:

وإنّي لتعروُني لذكراكِ نفضَةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلّلَهُ القَطرُ
فيا حبُّها زدني جوىً كلَّ ليلةٍ ويا سلوة الايامِ موعدكِ الحشرُ

فاستطابه جداً وأعطاه سبعَ بِدَرٍ ، وقال الاصمعيُّ : **" كنت عند الرشيد، فدخلَ عليه اسحاق بن إبراهيم الموصلي، فقال: أنشدني من شعرك، فأنشدَهُ:**

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصِري فليس إلى ما تأمرينَ سبيلُ
أرى الناسَ خلاّنَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمينَ خليلُ

فقال الرشيدُ : يا فضلُ : أعطه عشرينَ ألفَ درهم. ثم قال: لله أبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتقنَ أصولَها، وأبينَ فصولَها، وأقلَّ فضولَها، فقال: والله يا أمير المؤمنين: لاقبلتُ منها درهماً واحداً ، قال : ولِمَ، قال: لأنَّ كلامكَ والله خيرٌ من شعري، فقال: يا فضلُ، ادفع له أربعين ألفاً ، قال الاصمعي : فعلِمتُ أنَّه أصيدُ لدراهم الملوكِ مني ".

إن الحضارة دخلت كلَّ جانبٍ من جوانب الحياة آنذاك، في النُّظُم و التقاليد، وفي مجالس الطرب والغناء، وفي بناء الدور والقصور، وفي استخدام وسائل جديدة من سبل العيش والحياة، كل هذه الامور قادت الشعراء إلى النظم في موضوعاتٍ جديدةٍ لم تكن مألوفةً من قبلُ، إضافةً إلى مظاهر الطبيعةِ الخلّابة من أنهارٍ وأشجارٍ وأزهارٍ وأثمارٍ وأطيار ... فإنها فسحت للشعراء ولاسيما شعراء الوصف، المجال الرحب لتقديم قصائد ومقطوعات رائعة، مصاغة باسلوب جذابٍ متدفقٍ من خيال خصب.

ومن عوامل ازدهار الأدب الحريةُ الواسعةُ التي وجدها الشعراء في ساحة النظم، فإنهم أطلقوا عنانَ خيالهم في كلِّ شيءٍ دونَ خوفٍ أو استحياء. معبرين عن عواطفهم ومشاعرهم في انسجامٍ مع الجو الذي كانوا يعيشون فيه.

وهذه الحرية أدت إلى ظهورِ تياراتٍ شعرية بعيدة عن الاصالةِ العربية والتربية الاسلامية النقيّة. وكان الشعرُ هو ديوان العرب والعصب النابض في قلب المجتمع العباسي، والمرآة الصادقة التي انعكست عليها صورُ الحياةِ وأحداثها، وقد كثرَ النظم في هذا العصر وازداد عدد الشعراء، أما الفنون الشعرية فتكاد تكون نفسها، وإن دخلها التطور بحكم الحياة الجديدة، فنلقى المديحَ والفخرَ والهجاء والرثاء، كما نلقى الغزلَ والخمريات والوصف والطرد والشكوى والعتاب ... وقد استجدت جوانبُ جديدة كانت توليداً وتجديداً للموضوعات السابقة.